٥ ـ خزانة الرءوس
فى دار الخلافة العباسية ببغداد
للأستاذ ميخائيل عواد

(ج) رأس صالح بن مدرك ، رأس جيش بن ذيال ، رأس غلام لصالح بن مدرك

لا تخلو أخبار الحاج فى كل سنة من أحداث خطيرة تلم بهم يتعمدها قطاع الطرق والفساق ومن خرج على الدولة يومذاك ؛ فتسلب أموالهم ، ويقتل أكثرهم ، ويتيه بعضهم فى بطن الصحراء فيهلك من العطش والجوع والحر . ولا يسلم منهم إلا نفر قليل

فمن تلك الأحداث ما وقع فى سنة ٢٨٦ هـ ، والخليفة يومذاك المعتضد . ذكر المسعودى أن فى هذه السنة « ظفر أبو الأغر خليفة بن المبارك السلمى بصالح بن مدرك الطائى بناحية فَيْد مكراً فى ذهابهم إلى مكة ، وقد كانت الأعراب جمعت لأبى الأغر ليستنقذوا صالحاً من يديه ، فواقعهم فقتل رئيسهم جحيش ابن ذيال وجماعة معه وأخذ رأسه ، فلما علم صالح بن مدرك بقتل جحيش بن ذيال يئس من الخلاص من يد أبى الأغر ؛ فلما نزل المنزل المعروف بمنزل القرشى أتاهم غلام بطعام فاستلب منه سكيناً وقتل نفسه ، فأخذ أبو الأغر رأسه وأظهره بالمدينة فتباشر الحاج . وكان لأبى الأغر فى رجوعه وقعة عظيمة اجتمع هو ونحرير وغيرهما من أمراء قوافل الحاج مع الأعراب ؛ وكانت الأعراب قد اجتمعت وتحشّدت من طيء وأحلافها ، فكانت رجّالتها نحواً من ثلاثة آلاف راجل ، والخيل نحو من ذلك ، فكانت الحرب بينهم ثلاثاً وذلك بين معدن القرشى والحاجر ، ثم انهزمت الأعراب وسلم الناس . وكان ممن تولى بأبى الأغر الحيلة على صالح بن مدرك سعيد بن عبد الأعلى ، ودخل أبو الأغر مدينة السلام وقدّامه رأس صالح وجحيش ، ورأس غلام لصالح أسْوَد ، وأربعة أسارى وهم بنو عم صالح بن مدرك . فخلع السلطان فى ذلك اليوم على أبى الأغر وطوقه بطوق من ذهب ،

و نُصِبَتْ الرؤوسَ على الجسر من الجانب الغربىّ ، وأُدخِلَ الأسارى المطبق »[1]

(د) رأس ابن الرضا :

وابن الرضا هذا ، هو محسن بن جعفر بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد ، ظهر «فى أعمال دمشق فى سنة ثلاثمائة ، وكانت له مع أبى العباس أحمد بن كيغلغ وقعة ، فقتل صبراً ، وقيل قُتل فى المعركة وحمل رأسه إلى مدينة السلام ، فنُصب على الجسر الجديد بالجانب الغربى »[2]

٥ ـ تعليق الرءوس بإزاء دار الخلافة العباسية ببغداد :

(ا) رأس بزبه :

روى خبره ابن الجوزى فى حوادث سنة ٥٤٢ هـ قائلاً :

« ... وورد الخبر أن بزبه راسل شحنة أصبهان فاستماله ورحل إليها ومعه محمد شاه . وكان السلطان مسعود مقيماً بهمذان وعساكره قليلة ؛ فأرسل إلى عساكر آذربيجان فتأخروا عنه ، فسار بزبه من أصبهان سيراً يمهل فيه ، فلما قاربها وصلت عساكر آذربيجان إلى السلطان ، وكان بزبه قد جاء جريدة فى خمسة آلاف فارس ، فضرب على عسكر السلطان فكسر الميمنة والميسرة ، وكان مسعود قد تأخّر عن المصاف فى ألف فارس ، وكان عسكره عشرة آلاف ، فاشتغل عسكر بزبه بالنهب والقتل ، فجاء مسعود فحمل عليهم ، فالتقى هو وبزبه ، فكبت الفرس ببزبه فوقع ، فجىء به إلى مسعود فقطع نصفين ، وجىء برأسه فعُلّق بإزاء دار الخلافة ... »[3]

٦ ـ تعليق الرءوس فوق باب النوبى[4]

(ا) رأس ابن سنقا :

من الأخبار الوارة إلى بغداد فى شعبان من سنة ٥٦٩ هـ :

(١) مروج الذهب ٨ : ١٩١ — ١٩٣
(٢) مروج الذهب ٨ : ٢٧٩
(٣) المنتظم ١٠ : ٢٢٤
(٤) باب النوبى : أحد البابين الكبيرين للحريم من دار الخلافة العباسية ببغداد ، وكان فى سور الدار شرقى باب بدر . ودعى أيضاً : « باب العتبة » ، وهى أقرب العتبات إلى الداخل ، وعندها كان مقام =

« أن ابن أخي شملة التركماني ويعرف بابي سنكا قد استحدث قلعة في ولاية باذرايا بقرب من قلعة الماهكي ، ليتخذها ذريعة إلى الإغارة على البلاد ، ونقل إليها الميرة ؛ فبعث السلطان إليه الجيوش فالتقوا ، فحمل بنفسه عليهم ، فطحن الميمنة ، فتقدم قياز العميدي إلى الأمراء فحثهم على خوض الماء ، وكان قد فتح البثوق يحتج بها ، فخاض قياز ومعه جماعة فعبروا ثم اقتتلوا ، وأسر ابن سنكا ، ثم قُتِل وجيء برأسه فعُلِّق بباب النوبة [كذا والصواب : النوبي] ... »[1]

(ب) رأس طغرلبك[2] السلجوقي :

هو السلطان طُغْرُلْبَك شاه بن أرسلان شاه بن طغرل شاه ابن محمد بن مَلِكْشاه بن ألْب أرسلان بن داود بن ميكائيل ابن سَلْجوق السلجوقي آخر ملوك السلجوقية بالعراق[3] كان سفاكاً للدماء وقد هابته الملوك . قتل وزيره رضي الدين النزنوي وفخر الدين العلوي رئيس همذان . وكان مصرعه في سنة ٥٩٠ هـ . قال ابن كثير في حوادث هذه السنة : « وفيها ملك السلطان خوارزم شاه تكش — ويقال له ابن الأصباغي — بلاد الري وغيرها ؛ واصطلح مع السلطان طغرلبك السلجوقي ، وكان قد تسلَّم بلاد الري وسائر مملكة أخيه سلطان شاه وخزائنه ، وعظم

= الخليفة ، والعتبة هذه هي التي تقبلها الرسل والملوك إذا قدموا بغداد ؛ وهي اسطوانة من الرخام الأبيض موضوعة أمام الباب الداخلي . وكان باب النوبي هذا في بعض الزمن الباب الرئيسي لقصور دار الخلافة . راجع : معجم البلدان طبعة وستنفلد ١ : ٨٩٦ مادة تومانا ، و ٢ : ٥١٩ — ٥٢٠ مادة دار الريحانيين ، وبغداد في عهد الخلافة العباسية ، تأليف « لسترنج » ص ٢٣٢ — ٢٣٣ ؛ الترجمة العربية

(١) المنتظم ١٠ : ٢٤٤

(٢) ضبطه ابن خلكان : بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وضم الراء وسكون اللام وفتح الباء وبعدها كاف . أما ابن تغري بردي : (النجوم الزاهرة ٦ : ١٣٥ — ١٣٦ طبع دار الكتب المصرية) : فقد أسماه طغريلبك : بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وكسر الراء المهملة وبعدها ياء ولام ساكنتان ؛ وهو اسم باللغة التركية لطائر معروف عندهم . و « بك » هو الأمير

(٣) أنظر أخباره في النجوم الزاهرة ٦ : ١٣٤ — ١٣٦ ، أما طغرلبك أول ملوك السلجوقية فقد كان كريماً حليما ، ولا يرى القتل ، ولا يسفك دما ، ولا يهتك محرما . وكان مبدأ حكمه في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة للهجرة

وقد ملك من هؤلاء السلاجقة نيف وعشرون ملكا ، ومدة ملكهم مائة وستون سنة .

شأنه . ثم التقى هو والسلطان طغرلبك في شهر ربيع الأول من هذه السنة ، فقُتِل السلطان طغرلبك ، وأرسل رأسه إلى الخليفة فعُلِّق على باب النوبة [كذا والصواب : النوبي] عدة أيام ... »[1]

٧ نصب الرءوس على باب العامة[2]

(أ) رأس هرون بن غريب الخال ، ورؤوس جماعة معه قواده

وهرون هذا هو ابن خال المقتدر بالله . كان ذا شأن كبير في أيام المقتدر والقاهر ، ولما بلغه خلع القاهر وتقليد الراضي الخلافة ؛ وكان يقيم بالدينور — وهي قصبة أعمال ماه الكوفة — متقلداً أعمال الماهون بها ، وبسبذان ومهرجا نقذق وحلوان ؛ رأى أنه أحق بالدولة من غيره لقرابته من الراضي ، فغلظ ذلك على ابن مقلة الوزير ، وعلى محمد بن ياقوت صاحب الشرطة ، وعلى الحجرية والساجية والمؤنسية ، فسار إلى بغداد حتى وافى خانقين فخاطبوا بأجمعهم الراضي ؛ فقال : أنا كاره له فامنعوه من دخول الحضرة وحاربوه إن أحوج إلى ذلك[3]

وهكذا اشتعلت الحرب بين هؤلاء ، وبين هرون وأصحابه حتى كان فيها هلاكه . قال مسكويه في رواية مقتله : « ولم تزل الحرب غليظة إلى أن قارب انتصاف النهار ، وركب هرون بن غريب مبادراً ، وسار منفرداً عن أصحابه على شاطىء نهر بين يريد قنطرته لما بلغه أن ابن ياقوت قد عبر القنطرة ، وقدر أنه يقتله أو يأسره ، فتقطر به فرسه فسقط منه في ساقية ، فلحقه يمن غلامه فضربه حتى أثخنه بالطبرزينات ، ثم سل سيفه ليذبحه فقال له هرون : يا عبد السوء أنت تفعل هذا وتتولى بيدك قتلي أي شيء أذنبت به إليك ؟ فقال له : نعم أنا أفعل بك هذا وحز رأسه ورفعه وكبر فتبدد رجال هرون ... وسار محمد بن ياقوت

(١) البداية والنهاية ١٣ : ٩

(٢) باب العامة : هو الباب الآخر الكبير من أبواب دار الخلافة العباسية ببغداد ؛ وكان يعرف أيضاً « ببابه هورية » ، وقيل إن أبوابه الحديدية الضخمة جاء بها المعتصم إلى بغداد من هورية في حدود سنة ٢٢٣ هـ ، والظاهر أن باب العامة هذا كان المدخل الرئيسي إلى أراضي القصر الحسني

انظر باب العامة هذا في : الطبري ٣ : ١٣٩٤ ، ١٤١٩ ، ١٤٣٣ ، ١٤٣٤ ، ١٥٠٣ ، وتجارب الأمم ٥ : ٣١٩ ، والمنتظم ٦ : ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٢٧٦ ، ولسترنج ص ٢٣٣ — ٢٣٤ ؛ الترجمة العربية

(٣) تجارب الأمم ، ٥ : ٣٠٦ — ٣٠٧

إلى موضع جثة هرون فأمر بحملها إلى مضربه فحملت وأمر بتكفينه ودفنه . ودخل بغداد وبين يديه رأس هرون وعدة من قواده فأمر الراضي[1] بنصب الرؤوس على باب العامة »[2]

٨ – نصب الرءوس على أسوار السجون ببغداد

(أ) رأس أبي يزيد خالد بن محمد الشمراني

ذكر قصته الطريفة عريب بن سعد القرطبي في مدار كلامه على أخبار بني العباس في سنة ٣٠٤هـ ، فقال : « وفي المحرم من هذه السنة ورد كتاب صاحب البريد بكرمان يذكر أن خالد بن محمد الشمراني المعروف بأبي يزيد ؛ وكان علي بن عيسى الوزير ولاه الخراج بكرمان وسجستان ، خالف على السلطان ، ودعى أميراً وجمع الناس إلى نفسه ... فكتب المقتدر إلى بدر الحمامي في إنفاذ جيش إليه ومعاجلته ، فوجه إليه بدر قائداً من قواده يعرف بدَرَك ، وكتب بدر قبل إنفاذ الجيش إلى أبي يزيد الشمراني يرغبه في الطاعة ، ويتضمن له العافية مع الأنهاض في المنزلة وخوفه وبال المعصية فجاوبه أبو يزيد : والله ما أخافك ، لأني فتحت المصحف فبدر إلى منه قول الله عز وجل (لا تخاف دركا ولا تخشى)[3] ومع ذلك ففي طالعي كوكب سَيباني لا بد أن يبلغني غاية ما أريد . فأنفذ بدر الجيش إليه ، وحوصر حتى أُخذ أسيراً فقيلت فيه أشعار منها :

يَا أَبَا يَزيد قاتل البُهتانِ ... لا تَغترر بالكوكب السَّيْباني
واعلم بأن القتل غاية جاهلٍ ... باع الهدى بالغي والعصيانِ
قد كنت بالسلطان عالي رتبةٍ ... من ذا الذي أغراك بالسلطان

ثم أتى الخبر بأن أبا يزيد هذا مات في طريقه ، فحمل رأسه إلى مدينة السلام ، ونصب على سور السجن الجديد »[4]

(١) قال ناشر تجارب الأمم : « وفي الأوراق : فجيء برأسه إلى الراضي فأظهر سروراً بذلك وسلمه إلى أهله ، فدفن بقرب قبر أبيه في قصر عيسى بن علي في الكرخ في الجانب الغربي »

(٢) تجارب الأمم (٥ : ٣٠٩) ؛ وذكر ابن الأثير هذه الحادثة في سنة ٣٢٢هـ : (الكامل ٨ : ٢١٥–٢١٦ ؛ أوربة = ٨ : ٩٩ ١٠٠ ؛ بولاق)

(٣) كمال الآية : « ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى (سورة طه ٢٠ : ٧٦)

(٤) صلة تاريخ الطبري (ص٦٠ – ٦١ طبع ليدن)

(ب) رءوس ثلاثة رجال من أصحاب الحلاج :

بعد مقتل الحلاج تفرق أصحابه أيدي سبأ : فمنهم من ذهب إلى خراسان ، ومنهم من بقي في العراق متوارياً عن الأنظار ، بينما رجال الشرطة وأصحاب الأخبار لا يألون جهداً في البحث عنهم . فمن أخبارهم في سنة ٣١٢هـ أن نازُوك ، وكان يومذاك صاحب الشرطة « جلس في مجلس الشرطة ببغداد ، فأحضر له ثلاثة نفر من أصحاب الحلاج ، وهم حيدرة والشمراني ، وابن منصور . فطالبهم بالرجوع عن مذهب الحلاج فأبوا ؛ فضرب أعناقهم ثم صلبهم في الجانب الشرقي من بغداد ، ووضع رؤوسهم على سور السجن في الجانب الغربي[1]

(يتبع) ميخائيل عواد

(١) المنتظم (٦ : ١٨٩)

لمناسبة عيد الأضحى السعيد

قد استحضرت محلات
شيكوريل الكبرى
كمية حديثة من بدل
الرجال والأولاد من
أفخر الأقمشة وأجمل
تفصيل وكذا الطرابيش
والقمصان والبيجامات
والكرافتات والشرابات
الخ ...

شيكوريل

سجل تجاري ٢٦٤٢٦